تمكين لغة الطّفل العربيّ في مجتمع المعرفة

د. ميساء أحمد أبوشنب

الأطفال هم ثروة الأمم والشّعوب، بل أصبحت النّظرة إليهم، والعناية بهم أحد المقاييس المهمة للتقدّم الحضاري، ومعياراً من معايير تقييم الشّعوب، ومظهراً من مظاهر وعي المجتمعات ورقي أبنائها، وفي ضوء هذا سُئل الفيلسوف والفنّان الإيطالي الشّهير (بندتو كروتشي ١٩٢٥-١٨٦٦): " على أيّ أساس تستطيع أن تتنبّأ بقدرة الأمة على التقدّم والرّقي والرّفاهية؟ فأجاب قائلاً: ... اذكروا دائماً أنّنا إذا وفّرنا لأطفال الأمّة وشبابها الفرصة لتنمية قدراتهم، وإذا استطعنا أن نقدّم لهم المعرفة الكافية التي تمكّنهم من إدراك مايجري حولهم بكلّ مافيه من حسنات وسيئات؛ فقد أوجدنا جيلاً من الشّباب يستطيع أن يقود بلاده نحو مستقبل أفضل، فالشّباب هو الحاضر، وهو المستقبل، وهو ثروة البلاد التي لاتنضب أبداً ...".

لكن ما السّبيل للوصول إلى طفل مبدع؟

إنها اللّغة، فاللّغة هي الهواء الذي نتنفّسه، والفكر الذي يدور فينا وحولنا، فهي تحمل المجتمع في جوفها، تعبّر عن ضميره، وتشكّل حياته، وتوجّه سلوك أفراده وجماعاته، ونظمه ومؤسساته، فهي وسيلتنا لإدراك العالَم، وواسطتنا التي تحدّد المسافة بيننا وبين واقعنا، وهي أداتنا لكي نصنع من المجتمع واقعاً.

فثقافة كلّ أمة كامنة في لغتها، ومامن حضارة إنسانيّة إلا وصاحبتها نهضة لغويّة، وتشهد حضارة اليوم حركة نشطة للغونة العديد من جوانبها: السياسيّة والمعرفيّة والاقتصاديّة والأخلاقيّة.

وما الوسيلة التي تضع هذه اللّغة على قمة الهرم المعرفي في مجتمع المعرفة؟

إنّها تكنولوجيا المعلومات التي تجعل من اللّغة " سندريلا " علوم (الكمبيوتر)، كما يقول د. نبيل علي: " لم تعد اللّغة مجرّد أداة للاتصال، أو مجرّد نسق رمزي ضمن أنساق رمزيّة أخرى، بل أصبحت أهم العلوم المغذّية لتكنولوجيا المعلومات، ورابطة العقد – بلا منازع – بين جميع الأنساق الرمزيّة الأخرى، التي تسري في كيان هذا المجتمع".

ونتيجة للنقلة النوعيّة لمجتمع المعرفة، أصبحت هذه اللّغة هي القادرة على إشعال فتيل الثّورة المعرفيّة لكونها رابطة العقد في خريطة المعرفة الإنسانيّة الشّاملة، فهي الفرع الوحيد الذي ينفرد بشبكة من العلاقات الوثيقة التي تربطه مع فروع المعرفة جميعها.

وإذا ماتساءلنا ماذا تقدّم هذه اللّغة للطّفل العربيّ في مجتمع المعرفة؟

نقول: تقدّم له العالَم كلّه في نسق بيئات لغويّة، وثقافة لغويّة، يعيشها باعتبارها منظومة مفتوحة للتعلّم، وهي بيئات تتعدّد بتعدّد مجالات حياته، وحركة نموه في تتابعها وارتقائها المرحليّ، حيث تسهم في تهيئة البيئة الاجتماعيّة – الثقافيّة التي تشكّل ذاته الشّخصيّة، وتذكّي إحساسه بهويته الثّقافيّة، وتثري خبراته اللّغويّة، اتساعاً في شمول، وكثرة في تنوّع، وتوظيفاً في انتقاء، وتعزيزاً في عمق. وبهذا المنحى تكون اللّغة أسلوب حياة للطّفل بفكره ووجدانه وتواصله الاجتماعيّ.

فالطفل ثروتنا للرّقي بلغتنا وتطوّرها وتفوّقها، واللّغة أداتنا لإدراك عالَم المعرفة لصنع مجتمعنا الحضاريّ، وتكنولوجيا المعلومات هي وسيلتنا للاتصال بالمجتمعات المتطوّرة لإثراء خبراتنا اللّغوية.

أولاً- أهمية اللّغة العربيّة ودورها في تكوين خبرات الطّفل اللّغوية والحياتيّة:

إذا ما أردنا أن نرتقي بثقافة الطّفل العربيّ إلى مستويات تتحقّق فيها الأصالة والمعاصرة، علينا أن نهتم بلغته، فسلامة اللّغة لايكون إلا في تطويرها وتجديدها، ومواكبتها لروح العصر، فهي كائن حيّ يخضع لناموس الارتقاء والنّمو، وإذا ماتساءلنا عن العوامل التي تؤثّر في اللّغة وتعمل على تطويرها ودخولها في عالم المعرفة نقول هي: الاحتكاك بالمجتمعات الأخرى، ومسايرة التطوّر العلميّ والتقانيّ، ولاشكّ بأنّ هذه العوامل تقوم بدور كبير في إثراء اللّغة من حيث مفرداتها وألفاظها ومدلولاتها، ذلك لأنّها لاتكفّ عن التّفاعل معها والتّأثير فيها، والتأثّر بها، و قد أشار محمود تيمور إلى ذلك حين قال: " ليس فساد اللّغة إلا أن تتحجّر في مكانها، فلا تملك أن تبيّن عمّا تجيش به الحياة العقليّة والاجتماعيّة على مرّ الزّمان من أفكار وأحداث".

والعرب يمتلكون لغة عريقة أصيلة، واسعة الانتشار، استوعبت في الماضي ضروباً من الحضارات والثقافات، وفيها من المرونة والطواعيّة والميزات مايجعلها في المستقبل قادرة على استيعاب معطيات الفكر النظريّ المجرّد، ومنتجات الفكر العلميّ المطبّق، ومايُعزّزه من مخترعات في حقول التّقنيات في أجهزة الاتصالات والحواسب والفضائيات.

لكن .. هل يكفي اللّغة العربيّة أن يظلّ أبناؤها يردّدون قصيدة حافظ إبراهيم: (أم اللّغات):

وسعت كتاب الله لفظاً وحكمة
وماضقت عن آي به وعِظاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن
فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي

إذا تحدّثنا عن لغة الطّفل العربيّ علينا أن نكون على يقين بأنّ الطفولة تحمل مستقبل الأمة، بل تشكّل طموحها. ولاشكّ بأنّ للّغة العربيّة دوراً في إشباع حاجات الأطفال النفسيّة بدءاً من الحاجة إلى الأمن،

وإلى الحبّ، وإلى الانتماء، وانتهاء بالحاجة إلى الاستطلاع والمعرفة والفهم.

فمنذ أن يدرك الطفل العالَم من حوله تنشأ لديه حاجة مهمّة من حاجاته العقلية، تلك هي الحاجة إلى الاستطلاع، إنه يحبّ أن يتعرّف أشياء كثيرة تحيط به، يؤثّر فيها وتؤثّر فيه، وهو في ذلك يطرح أسئلة كثيرة ينشد الإجابة عنها.

والحاجة إلى الاستطلاع أو الرّغبة في المعرفة والفهم لها أهميتها الكبرى في تكوين لغة الطّفل وتمكينها، وقد عدّها (ماسلو) المحرّك الأساسيّ وراء دافع التّحصيل عند الطّفل، ولعلّ هذه الرّغبة عند الأطفال هي التي تكمن وراء حرص أهلهم على شراء كتب لهم تتّسع من خلالها أفكارهم، وتنمو بقراءتها مفاهيمهم، وتتكوّن عن طريقها اتجاهاتهم، وتتحدّد عن طريقها ميولهم، ويتعرّفون منها أسرار الكون وغوامض الحياة.

لذلك أصبحت الحاجة ماسة للطّفل العربيّ لأن تُؤلّف له من دوائر المعارف مايشبع حاجة نفسية مهمة لديه. فطفل القرن العشرين يعيش في عصر(التكنولوجيا)، العصر الذي حقّق فيه الإنسان أقصى درجات التقدّم على مدى تاريخ البشريّة، والحاجة إلى المعرفة والفهم عنده تدفع به لأن يتخيّل أشكالاً من العلاقات بين الظواهر التي يراها والتي يجهل سرّها، فهو يمتلك قدرة على التخيّل كبيرة، وحبّ الاستطلاع والتخيّل هما عمليتان تمضيان معاً في طريق واحد، فالخيال يتيح للطّفل تصوّر المستقبل ويطابق معه بصورة عقلية مسبقة، لذلك يتمّ التأكيد على قصص المستقبل لأنّها تشبع حاجة في نفس الطّفل، فهي تنمّي لديه الخيال العلمي، وتوقظ الفكر الناقد، وتستثير الملاحظة الواعية، كما تدرّبه على الرّبط بين الظواهر والتّنبؤ بها وبحركتها.

لكن الحاجة إلى المعرفة والفهم لاتقتصر على الجانب العلمي في حياة الطّفل، وإنما تظهر في ميدان العلاقات الإنسانية مع الآخرين. فللسلوك البشريّ دوافع قد يتعذّر على الكثيرين ملاحظتها، والطّفل يتوق إلى استكشاف هذا العالَم، ومعرفة الدّوافع التي تجعل عقل بعض الأطفال يسلكون سلوكاً معيّناً.

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ اللّغة كان لها ومازال دور حاسم في تطوّر الطّفل

البيولوجي، ونضجه النّفسي، وارتقائه الحضاريّ، وإنّ أهميتها تكمن في إدراك مدى تعاظم هذه الأهمية في مجتمع المعرفة.

ثانياً: لكن كيف نمكّن لغة الطّفل العربيّ، مع وجود تحدّيات ومخاطر وصعوبات تواجه اللّغة العربيّة؟

إن تكوين الطّفل العربيّ اللّغوي، ومن ثمّ انتماءه القومي يتعرّضان في العصر الحاضر إلى كثير من التحديات والمخاطر والصّعوبات التي تتسرّب من خلال أذنيه ولسانه، إلى كيانه ووجدانه، ممّا يؤدّي إلى عزله شيئاً فشيئاً عن الجذور الثقافية والاجتماعية التي ينتمي إليها، ومايتصل بهذا العزل من إحساس بضعف الانتماء إلى العربيّة ومحيطها الثقافي والاجتماعيّ والتاريخيّ، إنّ الانتماء إلى اللّغات الأخرى التي تسربت إلى لسانه ووجدانه منذ نعومة أظفاره ومحاولة اللّحاق بتقاليدها وثقافتها، سيؤدّي به إلى إيجاد نموذج حائر: بين ثقافة طبيعية يرفضها، لعدم تدرّبه منذ الطّفولة على استقبالها، وثقافة مكتسبة ترفضه لعدم توافق جذوره التاريخيّة والاجتماعيّة.

وقد أشار إلى هذا النموذج المفكر الأمريكي (صموئيل هنتجتون) صاحب كتاب ونظرية (صراع الحضارات) الذي نشر في سنة (١٩٩٦م) مقالاً عنوانه: " ثقافة الغرب متفرّدة وليست عالمية، قائلاً فيها: " إن شعوب العالم غير الغربية، لايمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاريّ للغرب، فروح أيّة حضارة هي اللّغة والدّين والقيم والتّقاليد والعادات ".

كما يواجه الطّفل العربيّ تحديات في المسأله اللّغوية تتمثّل في الازدواجية التي آل إليها الوضع اللّغوي عند العرب قاطبة، فلقد توّلدت في اللّغة العربيّة لهجات عامية، وأصبحت كلّ لهجة لغة قائمة بذاتها تماشي اللّغة العربيّة الفصحى، وبات الطّفل العربيّ منذ مراحل الاكتساب الطّبيعي الأوّل يواجه واقعاً لغوياً دقيقاً تكون فيه اللّغة العربية الفصحى بمثابة لسان طارئ بالنسبة إلى اللّهجة التي هي اللّسان الطّبيعي المكتسب لدى الطّفل بالأمومة.

وأصبح لدينا مستويان أساسيّان في اللّغة: الأول يتمثّل بمستوى العربية الفصحى ويتفرّع عنها: الفصحى الجزلة المأثورة: (لغة القرآن، والحديث الشريف، والشّعر، والأدب)، والثّاني يتمثّل بمستوى العربية الدّارجة والعامية أو لغة التّخاطب وتشمل: (اللّهجة المهذبة – العربية المبسّطة – المحادثات الرّسمية – خطاب الإدارة). ولظاهرة تعدّد المستويات اللّغوية نتائج نوعية تؤثّر في المشهد اللّغوي العام الذي يستقي من الطّفل العربيّ نماذجه اللّغوية المجردة من أهمها: – ضعف الرّابطة اللّغوية التلقائيّة بين أفراد البلاد العربية – ضعف الأداء اللّغوي – انعدام وسيلة لغوية موحّدة تمكّن الطّفل من التّعبير عن آرائه وغاياته شفويّاً وكتابيّاً – الشّعور بالغربة الناتج عن تعدّد اللّهجات اللّغوية.

ويضاف إلى التّحديات السّابقة تحدٍ آخر وهو الأميّة التي ظلّت مرتفعة الحضور في مجتمعنا العربيّ، ولا أحد يدري بم يجيب التّاريخ عن وعد قطعته منظمة العمل العربيّ الثّقافي المشترك والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي أصدرته بمناسبة اليوم العالمي لمقاومة الأميّة بتاريخ ١/٨/ ٢٠٠٨م، وحدّدت فيه نسبة الأمية في الوطن العربي (٣٠٪) وهذا معناه أنّ بين (٣٣٥) مليون نسمة يوجد (٩٩،٥) مليون عربي لايقرؤون ولايكتبون، والمفزع أيضاً أنّ الأمية تتصاعد عبر الزّمن: فعدد الأميين بحساب الملايين (٥٠) مليون عام (١٩٧٠)، و (٦٠) عام (١٩٩٠)، و(٧٠) عام (٢٠٠٥) وحوالي (مليون) عام (٢٠٠٨) .

فهذا المناخ الثقافي والمعرفي الملبّد المحيط بالطّفل العربيّ يأخذنا أيضاً إلى قضية الرّصيد اللّغوي للطّفل العربيّ، وهي تحتاج إلى جهود علميّة وبحثيّة مكثّفة لتشخيص واقعها، والبحث عن أسس تكوينها، وعن مدى توافر هذه الأسس في البيئة الاجتماعية والإعلامية والتّعليمية المحيطة بالطّفل العربيّ.

فالطّفل العربيّ مهدّد بكثير من مخاطر فقر الحصيلة اللّغوية المحيطة به نتيجة لعوامل كثيرة، لعلّ من أبرزها: التّعليم والإعلام والحياة الاجتماعية. ونستطيع أن نتصوّر بسهولة درجة هزالها ومايترتّب عليها من عدم قدرة ذخيرته اللّغوية على مواكبة الثّقافة والمعرفة، بل وحتّى على التّفاعل مع الحياة الاجتماعية – العملية تفاعلاً سويّاً.

ووسط هذا الخضَم من التحديات ينشأ الطّفل العربيّ مشتّت الوجهات، فيضطرب مخزونه اللّغوي، ممّا يؤدي إلى زهده بلغته العربية الفصحى. و يتحوّل لكثرة مايسوده من عوائق إلى انحسارها لديه.

هنا نقف لنسأل أنفسنا – بوصفنا متخصّصين أو مهتمين – ما الحلول المترتبة علينا؟

إنّ التخطيط الاستراتيجي الحريص على تقليص مساحات الأمية، والسّعي إلى تنقية البيئة الاجتماعية والإعلامية من التلوّث اللّغوي، وإلى المراهنة على مجتمع المعرفة باستثمار المنظومة التربوية وتطوير مناهجها وطرائقها. أصبحت ضرورة ملحّة لتفوز اللّغة العربيّة الفصحى بحقّها الطّبيعي في مجالات الفكر والثقافة والمعرفة والإبداع والنّشريع والإعلام والقضاء.

ثالثاً: وهذا يدعونا للتوجّه إلى سياسة لغويّة للتّمكين للغة الطّفل العربيّ في مجتمع المعرفة:

قديماً قال سقراط لجليسه: " تكلّم حتى أراك " أما اليوم فالشّعار هو: " تحاور عن بعد حتى يراك الآخرون وتراهم، ومن ثمّ ترى ذاتك أنت وهي بعيدة عنك أو لصيقة القرب منك في عصر بات منه سؤال الهوية، جماعية كانت أو فردية، مطروحاً بشدة على أوسع نطاق.

ونحن سنكون على ثقة ودراية بأنّ مجتمع المعرفة هو مجتمع التعلّم ذاتياً، مدى الحياة، وسنسلّم بأنّ اللّغة الأمّ هي أداة أساسية لمؤازرة مهارات الفرد وتنميتها، وزيادة قدرة الطّفل على مواجهة ظاهرة الانفجار المعرفي التي تتطلّب سرعة تعلّم الجديد، ويعني ذلك تنمية القدرة اللّغوية لديه التي تمكّنه من سرعة القراءة، وعمق الاستيعاب والفهم وتوظيف المعرفة، باعتبار اللّغة وسيلة فعّالة لحلّ المشكلات.

إنّ موقع اللّغة الفريد على خريطة المعرفة الإنسانية يؤكّد كونها ركيزة أساسيّة للمعرفة على اختلاف أنواعها، ويتطلّب انتشالها من أزمتها الراهنة، ومواجهة التّحديات والصّعوبات والمخاطر التي تواجهها، واستعادة مجدها القديم حتى تمارس دورها المحوري المنوط بها في لمّ الشمل العربيّ، وتقوية وشائج التّماسك بين المجتمعات العربيّة، وعلينا أن نتجه نحو الإصلاح اللّغوي المطلوب بأقصى سرعة ممكنة حتى لاتتّسع الفجوة اللّغوية التي تتّصل بين العربيّة ولغات العالم المتقدّم.

وعلينا أن ندرك أنّ الانفجار المعلوماتي مصدر لزاد معرفي متوافر ومتجدّد، وقد فتحت علينا الشّابكة (الانترنيت) بوّابات الفيضان، ولاعاصم اليوم إلا لغة عربية فصيحة متطوّرة تكون درعاً لنا في مواجهة الإعصار المعلوماتي الجارف، ولن يتأتّى ذلك إلا من خلال مواقف صريحة وواضحة نتّخذها إزاء كثير من القضايا اللّغوية التي تمسّ اللّغة العربية الفصحى.

والسؤال الذي يطرح نفسه ما الحلّ لانتشال هذه اللّغة من أزمتها الرّاهنة، وإلحاقها بمجتمع المعرفة؟

حدّد تقرير اليونسكو الشّهير (١٩٩٦) " التعلّم ذلك الكنز المكنون " الغايات الأربع لتربية عصر المعلومات وهي: (تعلّم لتعرف – تعلّم لتعمل – تعلّم لتكون – تعلّم لتشارك الآخرين).

كلّ من هذه الغايات ذو صلة وثيقة بالإبداع لغويّاً، فالطّفل لابدّ أن يبدع لغوياً لكي: " يتعلّم ليعمل "؛ فالعمل – في عصر المعلومات – يعني العمل المبدع، والعمل المبدع يتوقّف – بدوره – على تنمية قدرة الطّفل على توصيل أفكاره وبلورتها من خلال تفاعله مع الآخرين، " يتعلّم ليكون " فلكي " يكون " لابدّ أن " يكون " مبدعاً لغوياً؛ حتى يثبت تميّزه وتفرّده، واللّغة من أهم وسائل التميّز. و" يتعلّم ليعرف " ؛ فمعرفة عصر المعلومات لاتعدّ تحصيلاً، بل انتقاء واستخلاصاً وتوظيفاً وكلّها أمور وثيقة الصّلة باللّغة.

و"يتعلّم ليشارك الآخرين"؛ يقاسمهم الحوار، ويتذوّق آدابهم، ويمزج تراث فنونهم بتراث أمته، وجميعها أمور وثيقة الصّلة باللّغة.

ويتعاظم دور اللّغة في إنتاج المعرفة: في كونها من أهم أسس الإنتاج العلمي إلى جانب كونها وسيلة للتبادل المعرفي، وكأداة للتّفكير كون مجتمع المعرفة، هو مجتمع التعلّم مدى الحياة.

وقد أكّد علم النفس التربوي الحديث أن نضوج الطّفل وجدانياً وذهنياً لايرتبط بثدي الأم فحسب، بل

يرتبط بلغته الأم.

التغيّرات التي يتوقّع أن تحدثها مصادر المعلومات في التمكين للغة الطّفل العربي في مجتمع المعرفة:

أصبح معالجة اللغة آلياً بواسطة الحاسوب محور تكنولوجيا المعلومات، خاصة أنّ اللّغة هي المنهل الطّبيعي الذي تستقي منه أسس ذكائها الاصطناعيّ والأفكار المحوريّة للارتقاء بلغات البرمجة، وتتحمّل وسائل الإعلام العربيّ المقروءة والمسموعة مسؤولية جسيمة لتمكين الطفل العربي من لغته الأم في مجتمعنا، مجتمع المعرفة.

وتلعب وسائل الاتّصال الالكترونية ذات الإمكانيات الهائلة الدور الأكبر في تجاوز حدود الزّمان والمكان كالتّلفاز والإذاعة والحاسوب والشابكة (الانترنيت) وغيرها من وسائل الاتصال التي تعرّف الأطفال ببيئتهم، ومحيطهم وتراثهم، وبالعالَم الذي يعيشون فيه، وتسهم - إذا أُحسن استخدامها – في تنمية القيم الأصيلة، وترسيخها وتعزيزها في نفسيتهم، معتمدة في ذلك على العديد من الوسائل التثقيفيّة، واضعة بالحسبان علم نفس الطّفل ونموّه، والمناهج التربوية، التي تقوم بتنمية ثقافتهم ولغتهم، وتحسين أدائهم اللّغوي، وهي قادرة على ذلك.

لذلك علينا أن ندرك أهمية اعتماد وسائل تكنولوجيا المعلومات في مدارسنا، إذ بات استخدامها في تعليم اللغة العربية الفصحى لأطفالنا ضرورة لإيجاد الإنسان المبدع المتميّز، ويكون ذلك بإدخال أجهزة الحاسوب، والمختبرات اللغوية، واعتماد طرائق البحث والاستقراء والاستكشاف، والتّركيز على أهمية المكتبة الالكترونية في توسيع ثقافة الأطفال، وتزويدهم بالمعرفة اللازمة لاستخدام اللّغة في أحاديثهم وكتاباتهم.

فالحاسوب يزوّد المتعلم بالمعلومات، ويسمح له بالاستجابة، ويُعزّز له مساره، وتوضع له النّتيجة العامة لصحة استجاباته، ممّا يشكّل تقويماً متكاملاً لعمل المتعلّم، ويزيد من فاعلية التعليم، ويعلّم المتعلّم كيف يتعلّم؟ وثمة ألعاب لغوية ترفيهية يتعلّم الطّفل من خلالها ويستمتع بها، إذ يتعلّم الحروف والكلمات، والمقاطع الصّوتية، والتّمرينات البنيويّة والإعراب من خلاله.

والكتب الالكترونية وصلت إلى الموقع الذي يجعلها مرشّحة لأن تحدث تأثيراً واضحاً وتغيّرات ملموسة وربما جذرية في العملية التعليمية، وسوف تؤدّي إلى ارتفاع نضج الأطفال وثقافتهم.

ويمكن أن يتمّ تعليم اللّغة العربية وفق النظريات الحديثة، التي تعتمد المختبرات اللغوية التي تؤمّن المحاكاة الصّحيحة للّغة وممارستها، سماعاً، ونطقاً ، وتصحيحاً للأغلاط، وتساعد المتعلّمين على التحكّم في سير الدّرس.

كما يتطلّب التمكين للّغة الطّفل العربيّ النهوض باللغة العربية الفصحى، الذي يتمثّل في التأهيل التقاني للغتنا بتوفير الموارد المالية والبشريّة، والتّكوين العلمي اللازم، والبنية الأساسية الرقميّة القادرة على احتضان مجمل المشروعات والمبادرات البحثية في مجال الهندسة اللّغوية. إضافة إلى تيسير المعالجة الآلية للّغة العربيّة بإنشاء الذّخائر اللّغوية العربيّة، ووضع المحلّلات الصّرفيّة، والقاموس العربيّ للتّدقيق اللّغوي الإملائي والقواعدي، واصطناع محرّكات البحث وبرامج للمصطلحات، وإجراء البحوث الدّلالية، وتدبّر سبل النّهوض بالترجمة الآليّة، والدّعوة إلى تطوير برامج تربويّة رقميّة تنهض بالتّدريس والتّقييم.

لذلك نحن بأمس الحاجة إلى أن نعلّم أطفالنا مبادئ البرمجة باللّغة العربية، وذلك نظراً إلى العلاقة الوثيقة بين البرمجة والفكر من جانب، وبين الفكر واللّغة من جانب آخر. وقد عرّبت لغات برمجة سهلة للأطفال مثل لغة: (اللوجو، والبيسك) إلا أن جهود التّعريب قد توقّفت – للأسف – في ظل غياب الحماس للتّعريب عموماً.

ومع ذلك هناك جهود مثمرة في معالجة اللّغة العربية آلياً، أفرزت تطبيقات مطروحة حالياً في الأسواق، وقد شملت بحوث عدد من الباحثين منهم د. نبيل علي خلال ربع القرن الأخير في مجالات متعدّدة في ميدان معالجة اللّغة العربيّة آلياً مثل: الصّرف الآلي، والإعراب الآلي، والتّشكيل التّلقائي، وبناء قواعد البيانات المعجمية .. وغيرها.

لاشك أن ثقافة عصر المعلومات والاتصالات تتطلّب إبداعاً لغويّاً جديداً، في جميع الفنون اللغوية ومعالجتها.

ولابدّ من الاعتراف بحاجتنا الماسة والملحّة لنهضة لغوية شاملة، قادرة على تلبية مطالب ومقتضيات العصر، وإلى تقنيّين، وفنيّين، ولغويّين، وعلماء بشتى التخصّصات للوصول إلى صيغ، ومصطلحات، ومفردات عربية سليمة دقيقة. بهدف الارتقاء بلغة أطفالنا ومسايرتها لكلّ المستجدات الحديثة في مجال تطوّر اللّغات العالميّة . فطفل العصر الحديث اليوم يختلف عن طفل الأمس... فهو في محيط يكشف أمامه كلّ شيء على الواقع.. وفي بيئة يعاينها أكثر ممّا يقرأ عنها.

وبات معلّم اليوم مفتاح المعرفة والعلوم بالنسبة للطّفل، لذلك لابدّ من تطويره وتأهيله لمتطلبات هذا العصر وتحدياته بالتفكير والإبداع، وتمكينه من لغته العربية ومهاراتها الأربع: الاستماع والتحدّث والقراءة والكتابة، وأساليبها الوظيفية، بما يخدم مجتمع المعلوماتية الجديد، ومجابهة العالم المفتوح، وثورة التكنولوجيا بفكر واعٍ، وقلب كبير، ولسان عربيّ مبين.

فنحن نريد أن نعلّم أطفالنا حسن الاستماع مع الفهم، وحسن التحدّث ، وحسن القراءة والكتابة، وحسن الفهم والتحليل والتفسير، والنقد والتقويم والتذوّق، وهذه المهارات هي على قدر عظيم الأهمية في عصر المعلومات.

إنّ النّظرة التربويّة إلى الطّفل العربيّ تتجلّى في كونه منظومة مفتوحة قابلة وباستمرار للتعلّم والنّمو، وتكون عناية التعلّم هي تمكين كلّ طفل من أن يستكشف ذلك الكنز المكنون بداخله ليعيشه عقلاً وذكاء، خبرة ومهارة، معرفة ووجداناً، قيماً ووجوداً كريماً.

ممّا سبق يتبيّن لنا مدى خطورة مرحلة الطّفولة وضرورة العناية بها وتثقيفها ثقافة عربية تقوم على العلوم والحضارة والأخلاق والقيم النبيلة الأصيلة والإنسانية وقبول الآخر وحواره.

ويدفعنا اليوم إلى التّأكيد بأنّ صناعة الأطفال في مجتمع المعلومات، هي أولى الاستثمارات بالرّعاية، والطّفل العربيّ بمجتمع المعلومات سوف يسعى من خلال تربيته، وأنماط الحياة فيه إلى تنمية قدراته الإبداعية في اللّغة.

وإنّ اللّغة العربية مؤهلة لتلبية مطالب مجتمع المعرفة، والإسهام في مجال المعرفة اللّغوية على النطاق الإنسانيّ، بفضل ماتتّسم به منظومتها من توازن دقيق على المستوى الفيولوجي، وتوسطيّة لغويّة فريدة مابين لغات العالم المختلفة على مستوى الوحدات اللّغوية المختلفة حرفاً وصوتاً ولفظاً وتركيباً.

حتى أنّها أثبتت جدارتها على مرّ العصور، وحقّها في أن تصبح لغة عالميّة، ونجحت في عصور الازدهار أن تكون أداة فعّالة لنقل المعرفة حتى قال قائل: " عجبت لمن يدّعي العلم، ويجهل العربيّة ".

وأخيراً لابدّ من الاعتراف بأن التحوّل إلى مجتمع المعرفة والمعلومات، يمثّل خطوة أساس إلى الأمام، نحو التنمية الاقتصادية والاجتماعية السّليمة، وهو العامل الأساس في التحوّل إلى التّحديث، والانفتاح والإدارة الرّشيدة.

وتبقى لغتنا هي هويتنا، انتماؤنا، كياننا، غذاؤنا الذي لاينضب، والتمكين للّغة الطفل العربي في مجتمع المعلومات والمعرفة يقع على عاتق: المجمع والجامع، ومؤسسات التربية، وأجهزة الإعلام والمنظمات الثقافية، ووجهاء النخبة وبسطاء العامة، والمسؤولين، والشاعر والكاتب والناشر والقارئ، والعامل والمعلّم والمتعلّم.

وتصدق مقولة العلماء: (إنّ اللّغة كائن حيّ، يخضع لقوانين الحياة ومنها: التطوّر والصّراع للبقاء والتحدّي والتّنافس، وتختم الحياة نواميسها بمقولة: " يظلّ البقاء للأصلح والأقوى ").

المراجع

١- أبوشنب/ ميساء أحمد. تكنولوجيا تعلّم اللغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم الأساس (كتاب). دمشق: وزارة الإعلام، ط١، ٢٠٠٨، ص (٥٠ -٨٩).

٢- أبوشنب، ميساء أحمد. دور التكنولوجيا الحديثة في تطوير اللغة العربية (مقال)، مجلة المعلم العربي، س٦٢، ع٢، دمشق: وزارة التربية، ٢٠٠٩، ص (٣٦).

٣- الدبس، رضوان. تحديث طرائق تعليم اللغة العربية – تكنولوجيا التعليم وأنشطته (المؤتمر السنوي الثاني – اللغة العربية في مواجهة المخاطر-)، دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٣، ص (٢٣-٢٤-٣٨).

٤- السيد، محمود أحمد. التجديد في مجال تعليم اللغة وتعلّمها، (المؤتمر السنوي السابع - التجديد اللغوي)، دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٨، ص (١-٨).
٥- علي، نبيل. الفجوة الرقمية: رؤية عربية لمجتمع المعرفة، (المؤتمر السنوي الخامس – اللغة العربية في عصر المعلومات)، دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٦، ص (١- ٧٦).
٦- الفار، إبراهيم عبد الوكيل. تربويات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الحادي والعشرين، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٤، ص (٧٠).
٧- قمق، بريهان. اللغة العربية عبر الأنترنيت. مجلة التجديد التربوي، عمّان: وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٦، ص (٧-٩).
٨- الكردي، سعد محمد. البرامج التلفزيونية الموجّهة للأطفال في سورية وأثرها في لغتهم، (المؤتمر السنوي السادس – لغة الطفل والواقع الحاضر)، دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٧، ص (١).
٩- مدكور، علي أحمد. التربية وثقافة التكنولوجيا. القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ٢٠٠٣، ص (١٨٥-١٨٦).
١٠- النوري، ندوة. استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي، دمشق: هيئة الأسرة السورية، تشرين الأول، ٢٠١١م.